(عبد الله المسكين له.. ولأحبابه)

مجموعة قصصية

تأليف

محمد حسين بكر

١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

دار العلوم للنشر والتوزيع

obeikandl.com

بكر/ محمد حسين بكر
عبد الله المسكين له . . ولأحبابه/ تأليف محمد حسين بكر
ط١ـ القاهرة: دار العلوم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨ .
٨٠ ص، ١٢سم .
تدمك ١ـ١٨٦ـ٣٨٠ـ٩٧٧
١ – مجموعة قصصية
أـ العنوان
رقم الإيداع: ٢٠١٣/ ٢٠٠٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة لدار العلوم للنشر والتوزيع – القاهرة، ولا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو نقله على أي نحو، سواء بالتصوير أو التسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة الناشر خطيًا ومقدمًا .

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

الناشر

دار العلوم للنشر والتوزيع - القاهرة

هاتف : ٢٥٧٦١٤٠٠(٠٠٢٠٢) فاكس: ٢٥٧٩٩٩٠٧(٠٠٢٠٢)

الموقع الإلكتروني: www.dareloloom.com

البريد الإلكتروني : daralaloom@hotmail.com

Daralaloom2002@yahoo.com

obeikandl.com

إهداء

obeikandl.com

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

تداعب "سهى" ابنتنا "نهى"
فتُملي عليَّ ضحكاتهما أروع
الحكايات حَسَنـًا..

إلى زوجتي وابنتي.. بعض الحروف
من بساتين الحياة...

محمد حسين بكـر

obeikandl.com

obeikandl.com

هئ هئ.. ها ها

القابلة علا صراخها وهي تخرجني إلى الدنيا وجف ينبوع الحياة في الصدر الضعيف وفتكت الحمى بأمي.. ورفضت أثداء خالاتي وعماتي.. وتعوذ الجميع مني لأنني لم أصرخ مثل كل وليد خرج من رحم أمه بل ضحكت.. ضحكت هكذا: هئ هئ هئ ها ها، ماتت أمي ولم ينبت الفول أسفل صينية الإبريق.. ماتت بعد ليال ثلاث.. كل رجال العائلة بحثوا عن لبن لي.. وبما أن أبي قد بحث كثيراً عن "لبن العصفور" رغم تيقنه من كون العصافير بلا أثداء حتى نصحته القابلة "بلبن الحمير"!!

نعم لبن حمير.. الذي ارتضيته غذاء لي.. أصاب الوجوم الجميع.. والحيرة حتى عندما حاولت خالتي ثقب أذني لتضع فيها فردة حلق ذهبية خشية الحسد تمتم أبي بالسخط.. من سيحسد فأل الشؤم هذا...

أكل أمه!!

قيدني خالي عند مفتش الصحة.. لأن في يوم سبوعي.. لم يعد أبي.

يتمتم.. بل.. ماات؟

كان الجميع يأخذون حيطتهم مني عقب معرفتهم بقصتي . . إلا أبي "جواد" كان يستبشر بي خيراً . . ويردد على الدوام "إنه شيخ ! " ، "ولد مبروك" ! !

حتى جاء ذلك اليوم الذي أتممت فيه الرضاعة و "فطموني" على الخبز الأسمر، فتقيأت وبكيت، ثم أحضروا مرة أخرى "لبن الحمير" فاستسغته وضحكت نعم ضحكت هكذا هيء هيء هاها؟ !

وكان ذهابي لكتاب الشيخ محمود العشري . . وعرفت الألف والفرق الرهيب بينه وبين كوز الذرة بعد مشقة . . وتعلمت الهجائية وكانت الحروف تحيرني كيف تهبط لأسفل ولا تذهب لأعلى فعلمت أن بداخل الحروف ذلاً لا أتبينه . . وعندما بدأت أحفظ الآيات كان الشيخ العشري يزدري ملامح وجهي ويجعل الصبية الصغار يسخرون من خصلات شعري البنية التي نبتت كذيل حمار بمؤخرة عنقي وكلما رفعت عقيرتي بالفاتحة زجرني ساخطًا "إن أنكر الأصوات" لصوت الحمير . . فأضحك هكذا . . هيء هيء ها ها .

وأعود إلى الطريق المترب مارًا بالترعة فألقي حملي من الأسفار التي لا أفقه فيها شيئًا وأخلع جلبابي لأسبح في الترعة . . بينما النسوة يرمقونني عاريًا ضاحكات . . مذعورًا أحيانًا . . "والله ما عاد بصغار هذا الولد" .

فأحدق في عيونهن التي لا يملؤها غير التراب وأضحك هكذا: هيء هيء ها ها!!

لم أكن غبيًا كما تظن زوجة خالي، نعم لم أكن "شارب من لبن حمير وغبي"، لا كنت أعلم أين تخبئ "البتاو" و"المش" فالتهمة مزوره.. ولا أهتم بصراخها باين عليك فعلاً شارب من لبن بهائم؟! لم يكن ذلك يؤلمني بل كان يجلدني ويؤرقني.. لولا خالي.. الذي كنت أعود له في المساء لأجلس جانبه على الحصيرة فيداعب الخصلات البنية الواقفة كفرشاة النقاش وأرى الدمع في عينيه.. كان خالي يعاملني كحمار.. جحش صغير "وأنانية" زوجته دائمًا تلكزني وترفسني بقدمها.. بمنتهى القسوة؟!

ومما زاد الطين بله ذلك الاسم الغريب الذي اختاره لي خالي "جواد" "طولون" ما معنى هذا "طولون" عندما سألته وقد التهبت شفتاي من أكل المش ولسعة الطماطم تؤلمني.. ما معنى "طولون" والدموع في عيني.. تعجب قائلاً "ده مولانا".. يا بهيم إنت تطول تبقى "طولون"، بالطبع كلمة بهيم من فم خالي جواد كانت غير كلمة بهيم من فم الشيخ العشري ومن فم خالتي أو زوجة خالي "دائمة التعب".

اختبرت السماء خالي جواد بعدم الإنجاب فكنت له بمثابة ولده.. صحيح أن الخال والد، ولولا حرصة على علامي..

لتركني إلى جوار الحائط الطيني لداره.. وما أعادني ثانية للكتاب.. مللت من سخرية الصبية وألسنتهم السليطة.. فكنت أثناء طريقي إلى الكتاب أعرج على الحقول فأجر المحراث وأنقل الحطب مع الفلاحين الذين أحبوني ربما لجهدي الذي يضاهي مجهود الحمير وكانوا يتركون أمامي الأطعمة الفقيرة.. ويربتون على كتفي بل يصل الحد بهم إلى مداعبة الشعيرات البنية النافرة في مؤخرة عنقي وكأنني "حصاوي" لا إنسان؟؟ فأكتفي بالضحك هكذا: هيء هيء ها ها؟!

استحسن الشيخ العشري عدم ذهابي "للكتاب" "شوف له شغلانة يا جواد ده بهيم حماااار والله حماااار صغير" غضب مني خالي لهذا السبب ونمت في الحظيرة مع الغنم والبط والأوز.. وحمارته البيضاء "شقاوة" التي لم يصبها الذعر لرؤيتي.. مازلت قادراً على سرد ما حدث فيها. نعم ليلة رائعة هيء هيء ها ها.. كل ما كنت أعلمه عن "طولون" أنه مولانا..؟؟

وعندما حاولت أن أعرف هل معلومات مولانا الشيخ العشري لا تتعدى هذا أم أنه يفوق في المعلومات خالي "جواد" فيستحق لقب شيخ بحق وحقيقي، حتى أخبرني عن "طولون" ما أجده مفخرة لي أن أحمل لقب مولانا "وأين أنت يا بهيم الله في حقل جراوة" من طولون.. السلطان صاحب المقام والدولة.. أنت حمار.. والله حمار صغير..!! لا أكثر ولا أقل.. ولو كان في عصرنا الحالي طولون المعظم.....!!

أصابني الملل من الهروب من كتاب الشيخ العشري.

أصابني الضيق من كلمات السب التي تنطلق مثل البارود من فم زوجة خالي ولم تعد "شقاوة" تغدق عليَّ بالحنان بعد أن رزقها الله بجحش، وعندما شتمتني زوجة خالي قذفتها بالطوب.. وصرخت فيها "على الأقل الحمير بتخلف" وصرخت بينما أنا أرفع جلبابي وأهرول ضاحكًا هكذا هيء هيء ها ها؟!

واختبأت هناك في حقول "الجراوة" ورأيتها تسير حافية على التراب تعفره وخالي يقول لها: أما قليل الأدب وحمار صحيح. والله لأعلقه في الفلكة النهاردة.. ما تزعليش يا "محروسة" بينما أنا أضحك هيء هيء ها ها.

فجأة سمعت دقًا وسط الحقول.. كانوا الغجر.. نعم الغجر.. الذي حذرني منهم خالي.. "اتعلم وإلا تبقى نوري وحرامي من الغجر".

كانت المراجيح الحديدية والخيام يدقونها وسط حقول "جابر اللبان" وتقدمت نحوهم ببطء شديد ووجدتني أعمل معهم.

عاملوني لأول مرة كإنسان، نعم مثلما عاملتني "شقاوة" حمارة خالي "جواد" البيضاء. أثناء تلك الليلة التي حبسوني فيها بالحظيرة لم يعيروا خصلات شعري البنية النافرة النابتة بمؤخرة عنقي أدنى اهتمام.. كانوا يضحكونني.. حتى أخذني النعاس.. واستيقظت في الليل على صوت طبل وزمر.

وأهالي البلد كلهم.. في المولد والغجر يدقون الطبول وينقرون الدفوف كانت تجلس إلى جواري امرأة في منتصف عمرها.. وقد تخضبت بالحنة وكانت تبتسم لي.. ثم أخذتني معها.. خلعت عني جلبابي البالي مثلما ولدتني أمي وتعجبت من فحولتي.. ووضعت على جسدي العاري عباءة زيتية ووضعت فوق رأسي شيئًا يشبه مشنة الدقيق.. وأخذتني وسط دائرة من الناس فأخذ أهالي القرية يصفقون.. تبينت وسط الحضور خالي والشيخ العشري و"محروسة".. وحتى "شقاوة" حمارة خالي كانت مربوطة في غصن شجرة إلى جوار الدكة التي تجلس عليها "محروسة" وأخذت المرأة تغني.. يا قطر الندى...

يا قطر الندى.. يا حب "خماريه" " وفرحة "ابن طولون" طولون.. نعم طولون.. سمعت خالي جواد يتمتم وسط الحضور: "يخلق من الشبه أربعين".. فضحكت هكذا هيء هيء ها ها.

وعندما.. فك الغجر خيامهم.. وسار رحالهم.. كنت أجر العربات معهم.

من أوراق الوراق

إحساس:

صرخت "فاطمة": يا حمار افهم!!. هنا كان الاشتباك ضروريًا وملحًا ما بين الإنسان بداخلي ونظرتي البريئة للأشياء والأمور.. مات الكلام حين انصرفت من أمامها دامي الإحساس سائلاً نفسي "بإغريقية" مفاجئة: ترى على من تخاف الوردة.. روحها بالطبع؟! عندما يمرق إنسان إلى جوارها، أما الحمار فلا تدركه الوردة الزاهية الألوان؛ لأنه لن يلتهمها! فكان قراري بأن.. أعفي التهام الحشائش، ملحوظة: كانت "فاطمة" بنت طيبة وعودها مازال أخضر؟!!.

قتل:

كانت "دعاء" فنجانية العين، أهدابها أجنحة الفراشات كلها بالحديقة المهملة إلى جوار النهر؟! والأرض الخلاء، وكان قلبي مازال طينة صالحة لبذور العشق والارتواء بماء الحب الحقيقي!! كانت عروقي تنتفخ ويسيل العرق تحت إبطي.. حتى كان قرارها هي.. المفاجئ بالتجريف.. يااه.. كانت الطينة تنزف دماء وكان قلبي جريحًا.. لذلك.. مت ولم أعد أغني.

عشـــق:

أمارسه في صمت، عندما تنادي أمي عليَّ في ليالي اختباء القمر بشرفات الآخرين: يا محممممد

نعم يا "أمه"

"هات لي أشرب"...

هكذا.. أصرخ مناديا على "نهى" لتبكي معي أمي المعقدة المريضة وبجنون، لا تستطيع وحدها ملء كوب لنشرب.. وكمثل "بوذا" أخرج في المساء للناس بوجه قاتل "قشتالي" مدرب وعندما يسألني أحد "مالك؟" أعود أسمر أندلسيًا شاعريّ الدمع.

لمس السكون:

"فاترينة الكبدة" يتصاعد منها البخار بينما "مصطفى" يعد شرائح الخبز مصفوفة: متراصة أمامه ويشوِّح بصلة حتى يسيل ريق "وليد" الجالس على المقهى يواري الدومينو عن عين "طارق" الرادارية و"عبد الله" يقوم بالتشويش عليها بسؤال مفاجئ عن "بكر"، يشد "مصطفى" أذنه من أسفل المقعد الجالس عليه "عبد الله" "تلاقيه لسه نايم" المطر خفيف خفيف،

هذا المساء يأتي "زوتس" هو أيضًا يسأل: عن "بكر" هو فيه إيه إشمعني النهاردة، ثم يوصد "عموره" فمه ويبتلع دخان سيجارته، لا ينتبه وليد للفتاة المارقة أمام المقهى فيهرول وراءها "عموره"، يستغل "طارق" لحظة تحديق "وليد" حيث أشار "عبد الله" أهو بكر جه ماجاش أدينا قاعدين، يصرخ وليد شاجبًا حركة "عبد الله" الذي يعلو بالضحك ويشتد المطر، ويأتي "بكر" يغني "أنا عمر عيني ما دمعت إلا على كل شيء غالي" و"زوتس" يسأله: ألاقي عندك كتاب عن الأبراج والحظ.. آه عندي كتاب لنعوم تشومسكي.. حلوة حلوة، يضع "طارق" الدومينو ويضحك ويردد حلوة حلوة، لكن "وليد" يكون له رأي آخر فيتورد خد "طارق" لاعنًا الجميع: صحبة العار تلك.

جنون الارتياب:

المياه التي خلفتها الأمطار أوحلت أمام الفاترينة، في الغد عليك أن تضع رملاً أمامها.. حاضر يقولها "مصطفى" بالراء الذي ينطقها "ياء"، "عبد الله" عينه حمراء تمامًا نائمة في اللاوجود "حد سهران للصبح" يبصق "طارق" على الأرض بعد أن يحصي ما اغتنمته يد "وليد" منه "أنا طالع أنام.. أنا كمان مروح فيه فيلم حلو في برنامج أوسكار" بقي بكر ووليد ومصطفى وعبد الله، يأخذ بكر عبد الله تحت إبطه ويرقصان

العرجاء تحت المطر "ابقى حصلنا يا مصطفى.. ها غسل الفاترينة وآجي.. ما هي مغسولة.. يذهبان ولا يأتي، نترك المنحنيات على الأرصفة نائمة، ومن محطة "القللي" للجزارين يحدثهم بكر عن محمد الماغوط.

النهر أسود كما هو لم تغسله السدود، يضرب "عبد الله" كفًا بكف عندما يتخيل رجلاً من "رواندا" يبول في النهر بينما هو يشرب، يسقط "بكر" على الأوحال يتذكر أغنية "حنا السكران لفيروز" "إوعى تنسيني وتذكري بكر السكران"، صوت أزيز ينتفض به عمود النور زززززززز يا نهار أسود العمود اتكهرب...!

يهرولون إلى حجرة "وليد" الدافئة، تُرى أين ذهب عمورة؟ هذا ما يردده "عبد الله" أما "وليد" فصدره به ألم خفيف كلما فكر في أمر "عمورة" وفتاته التي قال له "مصطفى" بائع الكبدة إنه رآهما بحديقة الحيوان أمس بينما "عبد الله" قد أخبر بكرًا بأن الذي كان مع الفتاة "زوتس" ولم يقل بكر أي شيء ولم يعلق كما هي العادة لأنه يعلم يقينًا أن الفتاة كانت معه هو.

هـــروب:

زجاجات الحديث بدأت تفرغ بالتدريج، الملل بدأ يتسرب رويدًا رويدًا يلملم "بكر" أفكاره ويودعهما إلى ميعاد غير معلوم، يغطان في نوم عميق، بينما أذان الفجر والبرد والألم

البسيط بكتفه اليسرى يتوعده بالمستشفى ثانية، الأمطار خفيفة ودلو السحاب قد انسكب على الأسفلت، يرى على الضفة الأخرى للنيل أبراج أغاخان يتمتم كما في صلاح الدين.. اللعنة على الأبراج، الشاويش متلفحًا بكوفية باهتة اللون، نائمًا إلى جوار مكتب "البوسطة" عندما يقترب منه يتعمد أن يدق كعبيه في الأسفلت، يهب الشاويش من نومه مفزوعًا: هو.. انت يا ابن حسين افتكرتك الباشا الظابط، يود أن يشخر، إلا أنه كان يقترب ليضع حدًا لكل ما فات، اقترب أكثر وأكثر من كابينة التليفون...

- آلو
- آلو.. أيوه أنا بكر.. وليد بيحبك مش ممكن أخون صحابي حتى ولو هم استعذبوا خيانتي ولكنهم عندئذ لن يكونوا صحابة
- أرجوك لا تقفل الخط

وقتها كان "مصطفى" يعد نقود المكسب لشراء حذاء العيد وطارق يتابع شروقًا باردًا في البلكونة و"عبد الله" محتضنًا "وليد" المبتسم، ربما حلم بها تلك الليلة ومازال يعتقد أن "عمورة" يخونه معها، كان "بكر" يتألم على فراشه ممسكًا كتفه اليسرى.

obeikandl.com

آخر يوم في حياة فان جوخ

(١)

في الصباح

تفل في "باليتة" الألوان عصر بكل ما أوتى من قوة كان يدخرها لوقف الإسهال الشديد الذي نغص عليه حياته، لا ألوان.. أمسك بالفرشاة كسهم.. ثم كسرها، خرج من كوخه، وأطلق ساقيه للريح، بلحن غامق أخذ يدندن على الحقول الرمادية لمحصول الزمن.. صرخ بأعلى ما فيه "أنا.. أنا.. أنا" لم يكن يسمع جيداً، ثبت الضمادة حول أذنه.. قطف زهرة خشخاش.. وجلس يبكي.

(٢)

عند الظهيرة

شطيرة الخبز.. أخذ يقطعها قطعًا صغيرة.. صغيرة.. للقط الرمادي الأخضر العينين لامعها.. ونتف صغيرة للفأر.. صرخ في القط.. لو اقتربت منه سآكلك، وكتب رسالة صغيرة وقصيرة لأخيه:

أخي.. أنا سعيد على غير العادة منذ الصباح...

بل صار باستطاعتي البكاء . . وكذلك الغناء بل والضحك .

سأقوم بتغيير ألواني هذا المساء . . .

انتهيت من لوحات جميلة من الممكن أن تلقي بها . .

في وقت لاحق عقب موتى . . ولكن سيموت الكثيرون وسأعيش أنا . . أخرى؟ . . سرو إلى ممزق "؟ والقط لن يعتني بالفأر . . مادمت أنا "فان جوخ" لست موجودًا . . .

أخي . . أنت لست مبدعًا مثلما أنت موجود . . .

الله مبدع . . الله واجد الوجود؟!

أخوك فان جوخ

(٣)

في السماء

بلا عشاء أخذ يترنم بلحن أسود تتوخاه ضوضاء وتتخلله بعض ألوانه البرتقالية والحمراء النارية، ويدق على الطاولة المتسخة . . منذ قليل قتل القط وجلس واجمًا .

سمع طرقًا على الباب . . هب مفزوعًا لعله أخوه، جاء ليودعه مصحة الأمراض العقلية، فتح الباب، انبعث ضوء شديد ونور شديد، كانت هناك كتب عديدة وصحف ومجلات . . بلغات يعرفها ولغات عديدة لا يعرفها . . أخذ يقلبها .

كانت جميعها عنه .

ابتسم وتمتم . . "ما أطول هذا يا إلهي" "

وتمدد في هدوء وراح في سبات عميق . . وكانت لوحة الخشخاش تبكي . . .

obeikandl.com

obeikandl.com

المحروم من الورد

ربما هو قابع الآن فوق فراشه يتابع الأخبار بوسط البلد على الفضائيات المهولة على الدوام للأحداث، أو منزويًا بأحد الأركان على مقهى يحدق في وجوه المارة ويرسم بانطباعاته الصامتة فوق وجهه الأسمر ويلون عينيه بملابسهم كذلك.. وكذلك وكما هو المعتاد سيطلب قهوته "المضبوطة"، ويعدل من وضع صدريته ويبتسم لذكرى عبرت كطائر طيفي وسط أفكاره المتماوجة عندئذ.. سيخرج تليفونه المحمول ويستمع للصوت الأنثوي المهدد له بوجوب أن يشحن البطاقة بعد ثلاثة أيام منقضية من مارس، وسيمارس عندئذ الثرثرة.. إزيك.. أنا هنا.. إنت واحشني خالص ثم يتفق على ميعاد.. مع صديقه الذي سيهمله كالمعتاد.. لنراه مرة ثانية قابعًا فوق فراشه يتابع الأخبار على الفضائيات المهولة على الدوام للأحداث في اليوم التالي، وبالتالي سيتناسى أن يتناول حبات الدواء اللازمة لحساسية الصدر؛ لأنه على موعد مع الانزواء بركن المقهى ليتابع من ركنه العتيق وجوه المارة، ويرسم انطباعاته الصامتة فوق وجهه الأسمر، ويلون عينيه بملابسهم، وكذلك في حركة فجائية.. لن يعدل صدريته وإنما.. سيخرج هاتفه المحمول ليعرف الساعة، هذا ما سيقوم به "حسين التونسي" حتمًا في نهاره "الأمشيري" مثلما فعلها من قبل في أحد أيام "أغسطس

الماضي" عقب رؤيته للأرقام الموجودة فوق شاشة تليفونه المحمول حيث رقم ٦ موجود وحده.. وعلى يمينه صفران...

سيهرول على الفور وهو ينادي على "شعبان" صبي المقهى ويناوله حساب القهوة "المضبوطة" التي على الدوام يغالطه في حسابها "شعبان" سيترك له الخمسة جنيهات ليذهب لكشك الورد ليبتاع قفصًا به كافة الألوان الوردية حيث إن الورد في أمشير تكون له ألوان رائعة وزاهية لأنه مستورد من "هولندا" سيقف "التاكسي" لـ"التونسي" بالتأكيد عندما يشير إليه.. وسيدخل البهجة على السائق بحديث ممتع عن مباراة الأهلي التي لعبها بالأمس حيث إن "حسين التونسي" أهلاويًا صميمًا، وعندما يجد السائق زبونه في حالة من الزهو بانتصارات الأهلي المتتالية سيدعي أنه أهلاوي وأنه كان يعمل سائقًا لدى محمود الخطيب أيام ما كان على قده "بالطبع حسين يعلم كذب السائق الفهلوي" وعند "ميدان الرماية" سيشير له إلى المطلع الأول حتمًا ولا بد أن يصعده فهو ذاهب لمقابلة صاحبيه المتزوجين حديثًا.. عندما ستشاهده "سهى" ستهلل كطفلة صغيرة، بينما الولد "بكر" سيرمقه بنظرة امتنان، وعندما يجد أن الترحيب به قد زاد عن الحد مما يشعره بكونه صديقًا عابرًا أو مجرد غريب سينزعج برفع كتفيه لأعلى باسطًا كفيه.. متمتمًا "عادي.. فيه إيه يا جماعة"، و"حيث إن أي عروسة جديدة.. لسه داخلة بيتها" لا تجيد طهو الطعام سيقوم "حسين" على الفور.. بعد أن يترك

قفص الورد الملون الزاهي فوق ترابيزة السفرة لمساعدة "العروسة" ويسأل "بكر" عن مزاجه اليوم لأنه سيطبخ له "الكبد والقوانص" سيهرب الوقت من "حسين" فيتذكر وجود ابن عمه بالمنزل.. سيترك كل شيء ليعود مرة ثانية.. وجوه كثيرة يقابلها "حسين" على مدار اليوم حيث إنه يبيع ويشتري السيارات المستعملة...

بهدوء شديد وعقب يومه الحافل ذلك.. ستجدونه.. ربما.. ستجدونه.. قابعًا الآن فوق فراشه يتابع الأخبار على الفضائيات المهولة على الدوام للأحداث، أو منزويًا بأحد الأركان على مقهى وسط البلد، يحدق في وجوه المارة ويرسم انطباعاته الصامتة.. وربما أيضًا وعقب انقضاء يومه الأمشيري يعبر كطائر طيفي.. بينما هو سعيد بذلك.. ولا يشغله أمر الزواج.. وحسين يبتاع الكثير من الورد لأصدقائه.. ومحروم على الدوام من أن يبتاع له أحدهم ولو وردة.. لذلك فحسين حزين.. ولعل ذلك ما يجعله.. يطلب قهوته مضبوطة ويستمع للصوت.. ربما.. يضبط رفاقه ولو لمرة واحدة بوردة يقدمونها إليه في يوم من الأيام...

حسين.. رجل ربما.. تغير حاله الآن.. إلا أن الشيء الوحيد الذي لن يتغير فيه هو كونه.. محرومًا من الود والورد.

obeikandl.com

الأول يشبهني تمامًا . . والثاني يشبه الثالث الذي يشبهني تمامًا والذي هو أنا والذي أرتعد منه كلما دخلت حجرتي الكئيبة أول حجرة على "إيدك الشمال" في لوكاندة الشعب بميدان العتبة .

رآني وهم يخطفونني . . .

نعم، الحاج علي محمود طه وشهرته "أبو علاء" يملك سيارة "بيجو ٥٠٥" معدل ويأتي اللوكاندة كل خميس بدون أن تعلم زوجته التي تفرح لذلك ولا تغتم لأنها تقابل محمود أخو أم محمد الفلاحة، الصول بالقوات المسلحة على الكورنيش، ولم يهتم الرجل؛ أقصد "أبو علاء" لا الصول محمود أخو أم محمد يا ناس .

وهو يشاهدهم وهم يدفعونني أمامهم على كوبري قصر النيل ويركلونني بالشلاليت

خطفوني . . والله خطفوني . . حتى اسألوهم؟

أشعلت دكتورة دينا سيجارة كينت ثم ضبطت من وضع نظارتها على أنفها وابتسمت لأبو علاء

- يا باشتمرجي منذ متى وهو على هذه الحالة؟
- من ليلة إمبارح يا ست الدكتورة . . .

- هل تناول الكوجاتين؟

- نعم ثلاثة زي ما حضرتك أمرتيني

خرجت من الحجرة وبقيت وحدي.. أرتعد.. اقتربت من باب حجرتي، كان الصول محمود يهمس كل أول شهر يعمل كده.. لازم يدفع الأجرة يعني لازم يدفع الأجرة، كيف أدفعها.. لقد خطفوني والله.. إن قلت أقول لكم...

حبوب عرض الهلع والتوتر النفسي!

obeikandl.com

قليلة البخت

وحيث كونها عادة زوجتي ولم تشتريها، حيث يلتف صديقاتها من حولها في كل مكان تذهب إليه، وعقب أن يتجاذبن معها أطراف الحديث ـ وهن يمضغن اللبان وكأن أسنانهن قد خلقها الله خصيصًا من أجل ذلك الغرض ـ تبدأ مراسم رؤية المستقبل، وحيث إن المستقبل لا يتواري في الأفق وجبال الغيب على الأقل في الاعتقاد الخاص بزوجتي وصديقاتها وإنما يوجد بأعلى جبال "البن" لذلك ظلت أمنية وحيدة تراودني، أن يعلن فجأة في جميع أنحاء العالم تحريم زراعته أو تتخذ حكومتنا الرشيدة قرارًا غريبًا ليس بغريب عليها ألا وهو إيقاف زراعة البن بل وصناعة الفناجين تصنيعًا واستيرادًا "إلا أنه على ما يبدو أن الحكومة لم تعد تفكر في ذلك خاصة وأن أحد الوزراء زوجته صديقة من صديقات زوجتي وأحيانًا يخيل لي أن بعض قراراته الوزارية تمثل واحدًا من جزء يسير مما تراه زوجتي لزوجته بالفنجان حيث إن بعض هذه القرارات هلامية إلى حد يدعو للضحك. . أطنان من البن، مئات من فناجين القهوة وأسنان تمضغ اللبان، بل زوجتي الوحيدة التي بمقدورها رؤية الفنجان عن بعد، وأقسم بالله أن ذلك قد حدث، أن صحوت من نومي فجأة وهي ترغي في التليفون وتقول لمحدثتها: مادام طرف الفنجان يا عزيزتي أبيض والبن مدلوق في الطبق ناحية الباب يعني الشمال. . يبقى همّ وانزاح" .

في الصباح طالعت الصحف وفنجان زوجتي وقد هالني ما رأيت برغم كون زوجتي لم تأخذ من الفنجان سوى رشفتين فقط إلا أنه كان يبدو وكأنه مغسول تمامًا، نعم أبيض تمامًا تمامًا!؟

وبرغم تيقني التام من وجود القهوة والبن، بل والماء أيضًا إلا أنني ظللت أحدق في الفنجان

كيف.. نعم؟ كيف؟ مذهولاً

زوجتي بلا طالع.. أزعجني ذلك الخاطر قليلاً إلا أنني لم أعول عليه عندما تركت الصالة ودلفت إلى غرفة نومنا.. كانت نائمة كالطفلة بوجهها المستدير المغسول بالبراءة وقد جذبت الغطاء حتى عنقها وتطايرت خصلات شعرها كعش يمامة تم الهجوم عليه من قبل سرب أخرق من الطيور أخذت أرقبها.. منذ زواجنا ولم تكن قريبة كل هذا القرب.. وبدون إزعاج وبدون ثرثرة أزحت بعض خصلات شعرها ورأيت أذنها اليسرى صغيرة ودقيقة جدًا.. عينيها الواسعتين.. شفتيها الطفوليتين، وذلك الأنف الذي يشبه إلى حد ما رسومات الأطفال، وتلك الأذن كانت قد خلعت القرط الفرعوني منها، ذلك القرط الذي يبدو أكبر من الأذن ذاتها، لاحظت وجه الشبه بين تلك الأذن ويد الفنجان، كان العرق يملأ وجهها تمامًا مثلما يملأ جبال وسكك البن والقهوة، تقلبت في نوم زوجتي "وكيف هي.. مالهاش بخت" مثلها مثل صديقاتها، كنت أرمقها وهي متفانية

في قراءة طالع صديقتها وهي تدخن بشراهة، وكيف تروح وتجيء أصابعها الصغيرة وكفها أصغر من فنجان القهوة، بينما صديقتها تهز رأسها بتلك الهزات المتتابعة مصدقة على كل ما تقوله زوجتي، قلبت زوجتي فنجان صديقتها ثم عادت للجلوس معي، استمرت صديقتها تدخن.. ومن بين كل جملة وجملة تتفوه بها تطل جملة منها وهي تمضغ اللبان.

- "اوعي تكون متضايق يا أستاذ محمد".
- "أنا.. أنا.. أبدًا أبدًا عادي خاالص، الموضوع عادي عادي".

عندما عدنا إلى شقتنا أخبرتها بكوني متعبًا ولا أستطيع الجلوس لمتابعة الفيلم الذي ظلت وحدها تتابعه.. كانت زوجتي نائمة عندما استيقظت يوم الإجازة لأخذ حمامي الصباحي وحلاقة ذقني عندما جرحت وسالت الدماء من جوار أذني.. حاولت إيقاف سيلان الدم وتوقف قليلاً، ثم دخلت المطبخ لأصنع فنجانين من القهوة لي ولزوجتي...

رغم عني وأنا أتحسس سخونة الجرح إلى جوار أذني سالت بعض الدماء على أصابعي فسقطت في قاع الفنجان.. تركت الفنجان أمام زوجتي وأخذت فنجاني لأقرأ الصحف اليومية، كان التشكيل الوزاري الجديد قد حدث ولأول مرة تجد القهوة بأعلى جبال البن، وهي تتمتم الحمد لله.. إن انت آخر صبري

"وبختي في الدنيا . . " ، فابتسم متحسسًا الجرح الغائر المتجدد إلى جوار أذني اليسرى التي بدأت تأخذ شكل أذن الفنجان إلا أنها لم تقرأ لي حتى الآن طالعي . . حتى فوجئت بفنجاني . . أبيض تمامًا . . تمامًا . . وكأنه مغسول . . . ؟!!

obeikandl.com

التوى الأسفلت عند محطة البنزين على ناصية "سينما ديانا" ووقفنا ننتظر الأتوبيس "٨٢ الذي يراقبنا"!

تضحك قائلة: لو أرادوا معرفة أين نحن.. فقد يقومون بتعليق كاميرا في هذا الأتوبيس.. إنه يذهب إلى حيث نحن معًا دائمًا.. "أبو الريش.. العتبة.. مجرى العيون.. شبرا.. خلوصي" إنها دعابة.. "لم لا تضحك..؟" عارفة سليمان الحلبي اختبأ هنا، كانت المحطة دي.. حديقة كبيرة.. تسمى حديقة الأزبكية.. طعن "كليبر" بالخنجر وجرى إلى هنا.. ينزف حتى هكذا على الدوام.. لوعلّقوا كاميرا لوجدوا على الشريط صورة واحدة ثابتة للموقف ولإشارة مرور مزدحمة.. ها ها هاي..

- أنا جائعة..!

جعلت من الجريدة شمسية تقيها حرارة الشمس النازلة كالمطارق على رءوس الجميع وسرنا إلى حيث شارع الألفي.. كانت "الدكك" الخشبية مزدحمة تمامًا.. وعلى كل دكة عاشقان.. أو عشاقان ورجل له كرش ضخم يضع حقيبته ما بين ساقيه ويلتهم سندويتش طعمية، أو ثلاث سيدات عجائز يتحدثن عن ارتفاع الأسعار وطفلة صغيرة تهرول وراء العشاق بأكياس المناديل "والنبي ربع جنيه ربنا يخلي لك القمر..

يستركم.. والنبي يا أبلة والنبي يا أستاذ" كان الجميع يأكلون الفول والطعمية بينما حاتي الألفي قابع على الناصبة الأخرى من الشارع الذي لم تعد تمرق منه السيارات يتململ في ضيق.. وحارسه يتابع مؤخرات الفتيات المارقات يترجرجن ويشعل سيجارة من أخرى.

كان المطعم مزدحمًا للغاية.. دخلت هي.. من الباب العمومي وعادت في يدها قصاصة ورق وشنطة بلاستيك ومن الباب الفرعي ناولت رجلاً يرتدي نظارة سميكة.. الورقة والشنطة وربع جنيه ورجع الرجل بعد أن غاب ثواني بالساندويتشات.. سمعتها تقول:

- "لا لا.. أنا قلت.. عاوزة علبة طرشي كبيرة.
- كبيرة
- أيوه

اتجهت إلى إحدى الدكك فهرولتُ إليها.. عادت تبتسم ابتسامة واسعة "عارفة نابليون بونابرت" كان ساكن هنا في سرايا الألفي بك، كان يقوم ببنائها قبل قدوم الحملة.. لم يهنأ بها.. سكنها نابليون ورجاله.. وعندما رحل نابليون تمركز فيها "كليبر"، وكانت كل المنطقة حديقة واسعة.. ربما لم يكن مكاننا هذا هو المكان الذي قتل فيه سليمان الحلبي.. كليبر...

- يا سلاااام
- آه والله

- طب وانا مالي . . كل . كل أحسن
- حاضر . . هووه انتي بتكرهي التاريخ؟
- لأه . .
- طب ليه؟
- مش وقته . .
- طيب . . ! !

بدأت الشمس تهرب إلى خلف البنايات العتيقة . . وبدأت فلول جديدة تأتي إلى شارع الألفي . . وكأنها كتائب للعشاق . .

اختفت "الكروش" والنظارات السميكة والسيدات العجائز وحل مكان كل ذلك بناطيل جينز . . وشعور منفوشة وضحكات صاخبة وكان أحد الأكشاك . . بجوار المطعم تتسرب منه موسيقى صاخبة وعالية جدًا . . والشباب يمرحون ويتراقصون .

- عارفه؟
- إيه؟
- نابليون كان بيعمل حفلات هنا . . نعم وكان الفرنساوية يتراقصون حتى الصباح تمامًا تمامًا . . مثلما نفعل الآن .
- طيب . . تشرب حاجة ساقعة!
- أيوه

obeikandl.com

كنا نجلس إلى جوار كابينة تليفون عمومية . . اقترب شاب من الكابينة وأدخل الكارت الممغنط وناول السماعة لإحدى الفتيات

- أيوه يا ماما . . ورايا درس . . أيوه هاتأخر شوية . .

وانصرف الشاب والفتاة . . وضحكنا بأعلى ما فينا

- عارف؟
- إيه؟
- نفسي أتكلم في التليفون . . علشان أقعد ساعة كمان
- عارفه؟
- إوعي تقول نابليون كان بيعمل كده!!

obeikandl.com

الهدوء المشبع بالدمع وهي تصرخ: إيه؟! "الرجل لم يقصد بالطبع" لماذا تضع الأبعاد غير الحقيقية للجمل العادية جداً لبعض الناس.. عليك أن تكسب رضا الجميع.. نعم.. الموقف الآن لم يعد كما كان في السابق لست وحدك.. أنا معك!

تغيم الرؤية ففي عينيك، تراها ضبابية جداً ولا تدرك هل تزعق أم لا، خاصة وأنت تتذكر ذلك الصباح الذي رأيت فيه شعيرات طويلة وخضراء تماماً معشوشبة تخرج من أذنك اليمنى.. تركل الهواء ثم تقول: عاادي جداً، ويبقى صدرك ملغوماً ونارياً.. كيف اختزن الرجل قطني الشعر، وكثف عبارته الحقودة ليختزلك وهو لا ينظر نحوك قائلاً وهو يرمق بوكيه الورد الفاخر جداً جداً ويضيع لون شعيراته البيضاء مع لون الطرحة الرائعة "للعروس" فتضيع هذه الشعرة وراء الأخرى وهي تحاول التشكيك في عجلة دوران الزمن.. انصرف الرجل وبقيت أنت محموماً وحزيناً.. متناسياً الموسيقى الصاخبة وتهليل المدعوين بينما "العروس" عروستك يا أخي.. لا يوجد مخلوق واحد قادراً على إخراجك من فرحتك، إنها ليلتك وهذا العجوز المخرف اتركه.. لتهويماته يقصد أو لا يقصد.. هذا ليس له أية أهمية، فقط اتركه يتلظى بنار أحقاده، هل أقول للصديق؟.. إن ذلك الرجل يحلو له اختزالي على الدوام، وإنه عندما صافحني لأول مرة لقيته فيها.. قال لي وهو يمهر توقيعه

على أحد مؤلفاته بهمس واختناق: دبيب حذائك يبدو لي كموسيقي "موتسارت" نعم يا ولد تبدو لي "كالمارش" الجنائزي، ثم ارتعدت أنامله عندما قال لي: عليك أن تكتب اسمك ها هنا.. وعندما قمت بكتابة اسمي أخبرني بأنني آخر أبناء "الكتاتيب".. نعم يا أستاذ إذن أنت خطير.. خطورة شديدة "ها.. مالك؟ لقد انصرف الرجل" أتترك كل الصخب والبهجة من أجل عبارة خرجت مقصودة ومؤلمة كشفرة الموسى حادة وقاطعة؟.. لم تركت يدك المبللة "بالكولونيا" تداعب خدك يا عريس كل ذلك جعلني أفكر في الطريقة الثانية والعشرين لقتل الرجل صاحب الشعر القطني، موعدي القادم معه بعد ثلاثة أسابيع.. وفي غير "طوبة" سيكون الطقس ممطراً جداً.. سأصطحبه في جولة حول الفيللا التي يقطن بها، قليل هم المارة في ذلك الوقت.. لو مرق أحدهم إلى جانبًا لن يلتفت إلينا.. ماذا هنالك غير "شاب في صحبة أبيه؟" ربما كانا على موعد لعيادة الطبيب، هكذا هم أصحاب الشعر الأبيض القطني في حاجة على الدوام لعيادات الأطباء الباطنة.. إلا ذلك العجوز في حاجة لطبيب متخصص في "غسيل المخ" وتفاعلات العقل الباطن، سيحاول وقتها بكل تأكيد الضغط على زر اختزالي.. فكرة وجود "الألف واللام" التي أضعها قبل لقب أستاذ "يؤلمني.. الأ.. س.. ت.. ا.. ذ" هاهاهاي.. جولتنا يجب أن تكون كرنفالية تمامًا.. ليملأ صدره بهواء "طوبة" البارد وليلقي زجاج نظارته على الأفق وليعانق خياله المدى المأزوم

بالأحقاد وليختبئ القمر خلف غيمات الشتاء الليلية.. عندئذ سنقترب من كابينة كابلات الكهرباء.. حيث تبدو بلونها الرمادي مخبأ للقراصنة، الأشباح حيث تطل الجمجمة السوداء ما بين تقاطع عظمتين بلون قاتم، "وقتئذ" سأفعلها بهدوء قد عكننه إلى حد ما صعود الدخان.. وينز أزيز الصعقة المفاجئة وتحتضنه الكهرباء وتفوح منه رائحة الشياط وأتركه، عندما أخبرتها بالحلم.. لم ينفلت منها الهدوء المشبع بالدمع التي كانت تتمسك به جيداً.. إلا أنها صرخت فجأة قائلة.. إيه الرجل لم يقصد بالطبع.. لماذا تضع الأبعاد غير الحقيقية للجمل العادية جداً لبعض الناس.. عليك أن تكسب رضا الجميع، أخذت أفنط لها الأمر كله.. الرجل لم يحدد لي موعد مقابلته كما إنني لا أعتقد أن هناك كابينة لتوصيل الكابلات الكهربائية سريعة الفتح.. ثم إنه لو وافق على صحبتي في جولة لن تتكرر في طقس ممطر خاصة مع شاب لدبيب حذائه نغمات المارش الجنائزي "لموتسارت"؟!

- هل أنت مجنون؟!!

- نعم وسأظل على هذه الحالة.. حتى أستطيع أن أحصل على الفكرة الثالثة والعشرين لقتل الرجل القطني الشعر الذي يصر على اختزالي.. نعم ولن يجدي معه الاختزال.

obeikandl.com

تبادل المواقع

(١)

كانت عيونه تبحث عن شبابه فوق الرصيف المقابل للمبنى الذي يركن أمامه سيارته، أخبرته أن عليَّ اللحاق بالصحاب لنجلس على المقهى، كنت أداري نظراتي عنه في خجل، كل مرة كان يحاول مناوشتي حتى "أفك نفسي وأتحدث" على حسب تعليقه إلا أنني كنت أقيد نفسي في المقعد.. وأتلذذ بالصمت، والمراقبة بعين "الرادار"، أخبرني أنه يتابع ما أكتب بإحدى الدوريات.. ورأيت ابتسامة شاحبة عندما دخلنا معًا إلى المصعد، كان يتألم.. حاولت أن أبعد عيوني عن تلك الآلام، كان يعتصر الصبر.. ولكنه متعب جدًا.. تركنا التبغ المطحون على الأرضية الرخامية وبقايا الأوراق.. وتركت أنا الصمت.. إلا أنني لم أستطع أن أفك نفسي.. هرولت على الرصيف.. لم أنظر خلفي.. ربما كان يرمقنا من بعيد.. من الناحية الأخرى.. نظرته تتمنى الذهاب إلى المقهى.. كانت نظرته عالقة بأهدابي إلا أنه تمالك رغبته.. وابتعد.

(٢)

كل واحد أخذ مقعده.. وبعد فاصل قصير من الضحكات المصطنعة.. جاء صبي المقهى يسألنا عن المشاريب.. كانت المشاريب متنوعة ومتباينة؛ فالأمزجة مختلفة.. وبدأ الحديث في الدنيا الجميلة.. تلك العبارة التي ترافق الرجل ذي الكوفية الحمراء على الدوام.. وصديقي الشاعر الذي يلتهم الكتب وعقله مصاب بعسر الهضم.. يثرثر بأصابع يديه أكثر مما تقوله شفتاه، وبقيتُ أحدق في الصمت.. الشيشة والوميض الأحمر.. والحديث عن "بوذا" و"ماركيز" هو هو.. الحديث.. الصمت أفضل منه، ذلك الصمت الذي تركناه حيث كنا نجلس مع الأستاذ الذي لا يتحدث إلا عنا نحن، شعرت بالغربة، غربة روح مسجونة بداخل بدن، مقيد على الدوام بالصمت.. سألت نفسي فجأة لِمَ لا أخبره بأن يفك "هو" ويأتي معنا إلى "المقهى".. رُبما عندما أفك نفسي وأتحدث أنا بدلاً من التدخين.

من أغراض العشق

(١)

(وطن)

عندما ارتاب الكاتب في قلمه ركنه جانبًا، قبره درج مكتبه، عاوده حنينه القديم لمداعبة الفرشاة وبليتة الألوان، سألته روحه عن سر الارتياب فأجاب بالحنين الغائب الذي يود الإياب.. ارتعدت أنامله.. تمتم.. وطن.. أحاول رسمه، أجابته الأحلام التي تموج ولا تهدأ، أفرد شراع عينيك بالإغماض تجد وطنك.. كاد الكاتب أن يموت حين فتح عينيه.. ترى.. أين تذهب الأوطان التي نريدها حين لا نغمض.. داعبه ولده الصغير.. فرأى في عسل عينيه وطنًا قادمًا لا محالة!! لا ريب فيه.

(٢)

(امرأة)

بيضاء تمامًا خالية من كل الصيغ البلاغية، امرأة بيضاء تمامًا كالورقة التي أمام الشاعر، رأى سقراط امرأة تحمل نارًا.. قال الحامل أشد قسوة من المحمول.. هل رأى يا ترى "سقراط"

الرجل الذي كان يتبعها بالماء ليطفئ نارها؟ . . امرأة عادية تأتي فجأة بكوب الشاي مبتسمة . . لتسأل: هل أنا مازلت ملهمتك؟! فترسمها حروفًا . . عندئذ يرتب الكاتب في قلمه . . أخرجه من قبره الدرجي . . وكتب "أمي" !؟!

(٣)

(أرصفة)

فتاة تسير الهوينى فوق الأرصفة، المطلية بالأسود والأبيض تعزف موسيقى الخطوة . . وقتئذ تصير الدنيا سيمفونية، وكل الأرصفة بيانو ضخم . . ساعتها يعود الكاتب لألوانه ويرسم فتاة منتصف ديسمبر . . بدمائه .

التكرار لا يفيد الشطار

(١)

ابتاع الشمس من بياعين الهوا، "عاد بكفي حنين"، توضأ بالدموع ونام.. لم يحدث شيء في قانون الوجود، الشمس ساطعة والجو رائق، العيال استيقظوا على دفعات يد أمهم في ظهورهم العارية.. خلا البيت إلا منها ومنه.. تدفعه براحتها.. مات وهوت الصدمة على رأسها.. كيف.. يا نهار أسود.. لا إله إلا الله.. مات كمدًا.. أتى الأولاد من المدارس.

كانت النسوة من الجيران يقمن بكنس الحارة ورش المياه وقد ارتدين الأسود، خرجت الجنازة بسرعة، وبسرعة أكثر تم بناء السرادق، وبكاسيت ضخم تايواني الصنع.. تم وضع شريط قرآن.. ومن حين لآخر ترفع إحدى النساء صرخة مدوية تؤازر صراخاتها.. ربما تذكرت تلك المرأة زوج أخت أو حبيبًا أو قريبًا أو أخًا غرق في النهر منذ زمن ليس ببعيد، أما هي.. "فإسماعيل" لم يترك لها معاشًا.. آخر النقود كانت للتأشيرة الضرورية.. وآخر المصاغ كان ضياعه في تجهيز خرجته.. كان موتًا وخراب ديار، ولولا الحاج "رزق" ربنا يطيب خاطره ما وجدت مدفنًا لأبو العيال.

- إنتِ على لحم بطنك يا أختي . . كلي يا حبة عيني؟!

رمت المرأة البيض المسلوق بين أناملها ووضعته في فم "أم العيال"، حاولت المضغ، تقيأت . . "الدنيا بعدك مرار يا إسماعيل"؟ .

(٢)

سفر لأه . . أنا ماربيتش وشقيت وتعبت علشان تغيبوا عن عيني .

كانت سيرة السفر . . تفتح الجرح القديم منذ مات "إسماعيل" .

منذ ضحك عليه الخواجة "كسويلهو" الجواهرجي . . وبيعه اللي وراه واللي قدامه واشترى له تأشيرة مضروبة فبات موجوعًا . . وقد سخرت منه صاحبة المقهى . . بقى يا أهطل الشعر الشايب ده كله ولساك عبيط، الآن يريد "محمد" أن يسافر . . بكالوريوس الهندسة مركون يا أمي . . والبكالوريوس الذي لا يستخدم يعطل ويضيع . . كل أصحابي سافروا" . .

حاولت أن تثني عزمه . . الحاج "رزق" حاول إثناءه عن عزمه الذي لا يلين، دماغه ناشفة . . هيطلع لمين!! إسماعيل كان كده . .

وسافر "محمد"، وفرح "علي" بالدرجة، واستطاعت "دينا" شراء الطقم الصيني لزوم تجهيز الجواز وكذلك الفرن الكهربائي..

ولأول مرة تابع "بكر" ماتشات الأهلي بالألوان..

الأهلي أحمر مش أسود.. والمصري أخضر مش رمادي

(٣)

عاد "محمد" مهمومًا.. الأخوات كبرت.. عاد كبيرًا عجوزًا.. وكأن "إسماعيل" خرج من تربته.. عندما رأته "فايزة" تمتمت أعوذ بالله.. مين "إسماعيل"؟.. أنا محمد يا أمه.. يا حبيبي يا ابني.. ونام على صدرها.. تلألأت الدموع في عين "فايزة": الغربة أكلت من عمرك يا حبة عيني.. وتوحشت بلاد النفط عليك دخلوا على بعض.. زي الوحوش التافهة.. وسرقوا تحويشة عمرك، كان بكر لتوه قد تخرج من الحقوق...

عندما أتى يوم.. ودخل على "فايزة" كان يبدو.. مثل أخيه قبل السفر، كان يرتدي حلة "التجنيد الزيتي".. أعدت له أخته "دينا" الفوطة وماكينات الحلاقة.. كان ذاهبًا.. للحرب؟! لينصر الفئة المغلوبة على أمرها.. من استوحاش

الفئة الباغية . . المتنمرة .

ـ قوم يا إسماعيل . . سلم على أخوك

كانت تنادي محمد باسم أبيه . . علشان ما يغيبش كحسه من البيت . . لم يقم محمد من نومه مات مثل أبيه . . ليس بسبب التأشيرة المضروبة ، بل . . لا الحدود كلها مضروبة . . .

obeikandl.com

الضاحك بالأبيض والأسود

١- إسماعيل ياسين:

لا تدرك الشفافة الحالمة كالفراشة أن "إسماعيل ياسين" قد مااات!؟! وأن صورته كاريكاتورية على كيس "البوزو" دعاية لاسترجاع ضحكات بايتة لزمن ولى وفات، هكذا هي عادتها.. تفرد البافتة البيضاء فوق حجرها وتقرفص جالسة أمام التليفزيون بعد عصر الجمعة من كل أسبوع وتمرر المشط الواسع الأسنان في خصلات شعرها البرتقالي اللون وتضحك.. على "ضبو" وهو جالس فوق المروحة يزعق صارخًا.. "إلحقووووني"، والهيلكوبتر ثابتة على مدرج المطار بينما الشاويش عطية يضحك بأعلى ما فيه "هيء هيء هاهاهاي هيء"، فجأة ينقطع الإرسال لتظهر عناوين الأخبار.. المحلية، فتلفّ شعرها كعكة فاتنة مغرية للقابع أمامها.

بشرفة الجيران يلتهم روايات الجيب عن رجل المستحيل، تمد أصابعها نحو مشبك غامض نائم عليه "دبور أحمر" فيهتز مرتعشًا طائرًا وتسدده نحوه، فينظر إلى حيث هي واقفة.. فيحرك أصابعه.. بالموعد.. ويختلفان على الساعة فتبرم شارب وهمي.. بما يفيده بكون أبيها سوف يمنعها من الخروج.. يخبرها عندما يضع كفه مضمومًا إلى جوار أذنه بأنه سيتصل بها عقب الفيلم العربي...

فتضحك وهي تدخل.. من الشرفة مقلدة "سمعة" في مشيته المضحكة!!؟ فيضحك الشاويش...

٢- إستيفان روستي:

عندما توقفت السيارة الخضراء اللامعة كشعر الشاب المدهون بالفازلين.. الذي اهتم بتفريغ شعره كإستيفان روستي.. رمقه جيداً.. شعر بوخزة بجانبه الأيسر من الجهة العلوية.. أراد أن يلقنه درساً بأن يضربه كعادة أبطال سينما هذا الزمان؟! ولكنه تساءل بينه وبين نفسه.. لم أر أي ممثل يضرب "إستيفان روستي" قبل ذلك؟! رأى فقط البوليس، وهو يقبض عليه أو خطأ محمد توفيق في التصويب.. فأعطى "عبد الله" ابن أخيه ربع جنيه.. ليقذف "بربيز" السيارة بالطوب.. ففعلها فانزعج الشاب العريس.. وهم يضحك مردداً.. نشنت يا نااصح، ومع ذلك جبر أبوها خاطره؟! بأن وافق على زواجها منه وعلى أن تعيش معه بمنزل والدته المسنة.. عندئذ.. أحس أنه قد كبر.. قبل أوانه وصار في عمر "محمود المليجي".

٣- ممدوح عبد العليم:

إنها.. لم تطب لأمه.. لأن بطنها لم تتكور.. ولم تيقظ

بطنها بأي "مضغة" أو "علقة"، فتم طلاقها.. بينما كان جالسًا.. في الشرفة يقضم أظافره وهو يتابع قميصه الأبيض الحريري على مشبك الغسيل.. لم يكن التليفزيون يعرض فيلمًا في عصر ذلك اليوم.. وجد المشبك إلى جوار قدمه المعروقة الحافية ببطن الشرفة.. نظر إلى أعلى، وجدها.. تدير أناملها فوق معصمها.. حيث تتلألأ ساعة ذهبية...

كان الشيب قد اشتعل.. هز رأسه موافقًا على الميعاد.. عندما سار إلى جوارها على شاطئ النيل، تذكر فجأة كيف رفض.. ممدوح عبد العليم الرجوع من "الزهرة"...

خاصة وأنه.. كان مغرمًا بآثار الحكيم، أما تناول إلهام شاهين للدور فلم يستطعمه.. ولم يرق له، عاد.. مرة ثانية.. للوهم.. فهى زوجة وأم لثلاثة عيال.. وعليه أن يهبط من فوق المروحة لأن هليكوبتر أحلامه محطمة.

obeikandl.com

إنهم بالخارج . .

حيث لزوجة الليل ورطوبة الصيف، وأصوات السيارات المارقة فوق الأسفلت ونعيب الأبواق التي تشتاق لها أذنك وأنت محارب بائس وحزين، بأكلك الضوء المنهمر في غرفة المرض . . ذلك الضوء الذي لا تستطيع عيناك هضمه بنظرة واحدة وينتهي الألم وتستريح . . .

الزحام هو ما تشتاق إليه . . سيجارة الصديق الذي يناولك كوب الشاي على المقهى، وبائع الجرائد الذي يبتزك بعناوين وهمية قد صغتها أنت بليل انقضى وتخشى ألا يعود . . الوجوه الشاحبة التي كنت تنقشها في نيجاتيف ذاكرتك . . ضحكة الطفلة التي تناديها "ابنتي" . . صمت الزوجة البطلة في زمن استثناء لأنثى تقود أيامك بهدوء . . ذلك الإفريز الزجاجي الذي وضعوك على يساره لتحدق في أعمدة الإنارة البرتقالية وصخب حياة لا تستحق المعاناة الجميلة فيها حتى تلك اللحظة . . .

تنهش العزلة آخر فكرة من أفكارك عن التأقلم مع الوضع الحالي . . يأتيك رنين هاتفك المحمول . . تسمع صوتًا تحبه . . على الفور لو كان صاحب هذا الصوت قد اتصل بك وأنت خارج غرفة المرض ما تذكرته ولسألته عن سبب الاتصال المفاجئ، إلا أنك على الفور تتذكره . . يسأل عن شخص

آخر . . تقول له إنك رهين غرفة المرض بالمستشفي . . يتمنى لك الشفاء العاجل ويعتذر لأنه لا يعرف شيئًا عن ذلك الأمر، وبقسوة تعودت عليها يغلق المحمول ويتركك تنبض دهشة . . كيف؟؟!

هكذا؟! ماذا؟! . .

إنه بالخارج مثلهم . . أما أنت فهنا . . هنا بداخل غرفة المرض حيث الضوء ينهمر ولا تستطيع عيناك أن تهضمه بنظرة واحدة وينتهي الأمر . . تريد أن تصنع صداقة مع شخص اتصل على سبيل الخطأ . . شخص لا يرتاح لك ولا لتصرفاتك . . ابتسامتك المغرضة . . دهشتك من كل شيء . . تعاملك مع الأمور بجدية تجعلك موضع شفقة الآخرين . . .

تريد أن توطد علاقتك به في ثوان عقب فشل سنوات؟! . . مستحيل . . .

لابد أن نتعامل مع الحقائق مثلما نتعامل مع أنفسنا تمامًا . . .

أن نخدعها بابتسامة والتماس مئات الأعذار للناس . . .

إنها أمي

"حاضر يا نور عيني"

ربما لأنني آخر العنقود، إلا أنني كبرت ورجلي شالتني كما يقول لها أخوتي، إلا أنني الطفل الصغير.. آخر العنقود.. ماذا ستقول لأولادك عني؟

تلطمني العبارة بقسوة على أذني، لا أتصور الحياة بدون أمي.. وهل ستكون الحياة حياة.. تربت على كتفي تضع كوب الشاي أمامي، تمرر أناملها في خصلات شعري.. تتأملني.. دومًا تتأملني، أخوتي يقولون لها.. كلنا نشبه أبانا إلا هو.. هو يشبهك تمامًا.. نفس الحاجب.. الفم الملوم.. الانحناءة عند الخدين كمجرى النهر الطيب، وكذلك لون العين العسلي.. "طالع لأمه".. كل الأخوة يأتون لها بالهدايا والنقود وتتقاسمها معي كأنها تهديني في عيدها.. "لو تأخذ عمري ما يغلاش عليك"...

تجلس مؤرقة ومشغولة البال هناك بالصالة وهم من حولها بضجيج الأحفاد وثرثرة الزوجات، جالسة على المقعد الأخضر الكبير، وارفة هادئة، يقول "فتحي": أنا جعت يا مه، لا ترد.. عيناها على الباب بانتظاري.. عندما أدخل تمد يدها الطيبة الدافئة لتلف خصري ويدها تلمس ظهري.. ذلك الدفء.. ذلك الحنان الذي لا أجده عند أحد.. إنها أمي..

كل الأمهات كذلك؟ لا أدري.. فأنا أتحدث عن أمي فقط وهي الحياة.. والحياة حكايتها دائمًا مغلقة...

لا تصلحين أمًا لكاتب.. لا تملكين الحواديت.. تضحك.. بل أمتلك من الحواديت الكثير، وعنك أنت تحديدًا...

دائمًا ما يغير أصدقائي من ملابسي.. خاصة لياقة قميصي.. دائمًا تدعكه.. تحاول زوجة أخي مساعدتها.. "إلا هدومه.. أنا لسه منمتش".. حتى عندما أحتار في ثمن هدية تأتي لي وتضع لي النقود في الجاكيت أو جيب القميص وتضحك.. مازالت تدهشني عندما تلومني عقب عودتي من عند "بلبل الحلاق" "ليه مادرجتش وراء ودانك.. يخلو البيت من كل شيء ولا يخلو من أمي.. تخلو روحي من كل شيء ولا تخلو من روح أمي...

أحيانًا.. بل كثيرًا ما أكون مع الصحاب، أو أقرأ قصة في ندوة فأتلعثم وأتهته عندما أتذكر أمي.. تأتيني رسائل خاطفة منها عبر الأثير فيلتاع قلبي وأعود لأمي...

"اقعد معانا.. انت كبرت على الحاجات دي" لا.. إنها أمي.. لا تشكو أحدًا على الإطلاق.. الجميع يعرفونها في السوق.. جميع الناس يكرمونني لأجلها.. لا أتصور أمًا غيرها "كل واحد أمه غالية عليه".

"انت معلهش يعني ظروفك ومادياتك على قد حالها" . . هكذا قال الأخوة . . "ما بيني وبين أمي لا يقاس بالمال" .

"إنها أمي" . . وكان الانتصار باختيارها لي عن بقية الأخوة وبالرغم من ظروفي الصعبة إلا أنها أمي . . وكأنها عادت شابة صغيرة تبني البيت مرة أخرى مع أبي . . ذلك البيت الهادئ الذي ابتاعه والحقول من حوله، الآن العمران في كل مكان . . .

في الصيف تصنع لي أمي بنقودي القليلة وجبة صيفية جميلة . . جبن مع شرائح الأناناس، وعقب عودتي في الشتاء والبرد تحمر لي شرائح البطاطس، وتشبك أناملها الطيبة الكريمة في أناملي لتزيح عني التعب، وبالرغم الروماتيزم وهشاشة العظام والبرد أجدها تزحف نحوي في الليالي الباردة الطويلة لتناولني دواء القلب، عندئذ ألمح في عينيها حزنًا مقيمًا، تربت على كتفي وأسمع همهمة مختلطة بالصوت الملائكي القادم من بعيد . . عند أذان الفجر تدعو لي ولأخوتي كل واحد باسمه وتختصني بدعاء نور الطريق "ربنا ينور لك طريقك يا محمد" . . .

إنها أمي . .

أمي مرتبطة لديّ بكوب الشاي . . دائمًا كوب الشاي من يد أمي غير جميع أنواع أكواب الشاي الأخرى، حتى "فتحي" و"حمدي" و"صلاح" عندما يصابون بالصداع يأتون ليأكلوا طبيخ أمي، تضاحكهم وتحدثهم عن "شقاوتي" وتتمتم "الحمد لله . . ربنا يخليكوا لبعض" .

عاوزة حاجة يا مه . . ؟؟

عاوزاك طيب وبخير . .

لا تكتفي بذلك بل على الفور تقول "ما تتأخرش . . " .

كيف تطيب لي الحياة . . "وقد تجف الأرض وينعدم المطر . . " لو لم تكن أمي هي أمي . . فالحياة أمي . . أمي . . .

opeikandl.com

أسرار موت الجيوشي

العين التي يغلي ماؤها هي عين الجيوشي، الرجل الذي قتله يعلم ذلك وما قتل الجيوشي إلا ذاته، عبأ صدره بالحقد تجاه روحه لأنه رفض أن يعمل لدى مولانا "طولون".. سيدنا "أحمد بن طولون" غضب على الجيوشي فغضبت الأرض ورأت السماء أن "الجيوشي" يستأهل.

تكة لباس هي التي أودت به، حذره "سيدي أحمد" عاصفًا أن يحتاط لأمر البصاصين فالخليفة ببغداد يريد رأس مولانا.. لن يتورع مولانا عن قتلنا لو اكتشف أي خداع، وسيدي أحمد يكشف ما استعصى علينا نحن "بهائمه".

كنت مطاوعًا ملازمًا لسيدي الجيوشي الذي لا يترك قنينة الخمر إلا عندما يستبدلها له ياقوت بأخرى، عندئذ يغرق فُلك الفكر برأس الجيوشي ويتوعد مولانا "فأخبص" عليه، يضحك مولانا: دعه يهذي، أنا أعشق هذيانه.. كانت عين مولانا غاضبة تستمهله لحين حساب قريب لا هوادة فيه.

البصاصون قلوا، والجواسيس التابعون لبغداد كثروا.. جيوشي، سيدي أحمد يملك القطائع، الأمان مستتب، لا تقلق، كانت يقظة مولانا طولون وفراسته هي التي كشفت أمر النوتي المتوفى الذي يمرق به ذووه أسفل منصة السلطان سيدي أحمد، كل يوم جنازة، استراب وبلا اقتراب قال للنائم بالنعش:

- انهض!

فنهض وكان جاسوسًا، قال الجيوشي لي:

- مطاوع هو الذي فعلها ليستعرض عقله وحذقه على الناس، العباس ولده يعد العدة للفتك به، فهل يدري؟

أخبرت مولانا بأمر العباس ولده، فأغدق من سيالته عليّ أنا والجيوشي جواري حسان طمسهن قبلنا خمارويه ولد سيدي أكبر الناس العزّ بن طولون.

الاسترابة كان شعار الدولة الطولونية والمطبق.. يطبق روح من يصرخ يا اللا وليس في الاسترابة ندامة لأنها تأتي بلا تعجل، أما الوافد من "طوروس" فكان الأمير "بكر" الكردي، ومأساته كره الخمر، لا يدرك فوائدها كما أخبرني سيدي الجيوشي بهذا السر بحانة ياقوت...

يا مطاوع.. يضعف الرجل كثرة تفحصه بالناس وعشق النساء فهن كربلاء القلب وحدة الذكاء لذلك لن يعمر الأمير في بلاط الطولونية، لقد جاء وراء عشق سيدتنا العصماء قطر الندى، أصابني هلع الطولونية يعظمون أمر مولاتي، وما تقوله يا كبير البصاصين خطير يا صاحبي في الخمر، ذلك هو الأمر ولم أخبص، الخبص هنا يطير أعناق، كان الأمير الكردي الوافد من "طوروس" له سحنة الجان، أجارنا الله، طويل نحيف كالنسر حين يرنو بلحظه المفطوم على ذكائه، يحلو لسيدي أحمد معركته

بالأشعار وسيدي خمارويه يعاقره الندامة والشراب وأشار عليه بأرجوحة فوق حمام من الخمر، فسرور أحاط بملامح خمارويه من بعد غم وكرب، أعجب به سيدي أحمد عندما أوقف أحد البنائين وسأله أن يخرج رسالته للسلطان ببغداد، أقسم الرجل أن يناوله سيدي أحمد عفوه ورضاه من شفتيه، فعل مولانا وأخرج الرجل مخطوط التجسس، كنت مع الأمير بكر الكردي بحانة ياقوت "سألته عن ما خفي بالأمر عني.. ابتسم وصمت" كنت إلى جوار الحمام والجيوشي مصلوب على إحدى عرائس المطبق وفي يده قنينة خمر وكل القصر وجوم، وغيوم بعين سيدي خمارويه، يا مطاوع الخمر هلاك الإخلاص ووقود الإفك في الحديث، لن تدرك مكارم الأخلاق مادمت مصاحبًا إبليس في حانة أفلتتك السماء من غضبة مولاي أبي، الجيوشي يعمل معهم ببغداد، سحق الله رؤوسهم وتكة لباس الجيوشي هي نفسها تكة لباس العامل في البناء ـ اكتشفه الأمير بكر وأنقذ عرش الطولونية، أكرمه أبي وأعزه الله فأذله إبليس بالخمر، كان الأمير الكردي قادمًا من آخر الحمام وبصحبته مولانا يتحدثان بأمر العباس صاحب الخراج ويقوم مولانا عليه، كنت أرقب المغيب فوق القطائع، غير مصدق أن الجيوشي خائن حين رأيت زجل حمام طائرًا نحو المشرق تجاه بغداد وشبحًا هناك مخضبًا بلون الغروب، له كتلة الوافد من "طوروس"، فغدوت وأنا في حالة "ياقوت" أفكر في فخ قد يكون خنجرًا لتكة لباس حريرية من أجل إنقاذ الطولونية من السقوط...

obeikandl.com

انفتح باب الشيخوخة على مصراعيه "لجمال الشامي" وسار في قطيع الخراف والخرافة، وامتلأت أنحاء الجسد المعمور بالحب والوفاء بآلام الروماتيزم، وبزغ القمر في خصلات شعره الفضية، ووهنت القوة بين مفاصل عظمه فأسماه الأطباء.. هزال.. أما الفم المملوء بالحكمة على الدوام، فتارة يزعق.. وتارة يثرثر بسبب الأم والأب والأصحاب.. وصار القلب يحفظ الإناث الملتاعة ويذكر مفاتن جسدها التركي الفواح برائحة المسك، إلا أنه لم يفلت من جري العيال خلفه: المجنون أهه.. أهه.. المجنون أهه.. أهه...

إنهم يسحرون لي.. يكتبون على خصلات الشعر الزائد طلاسم السحر والربط والتيه، ويتركونني أعارك العفاريت ليل نهار بدورة المياه.. ثم يزعق كعواء ذئب نهشته كلاب الصحبة، آآه.. آآه.. يا بنات فقدن بكارتهن.. ثم يشمر جلبابه.. ويبصق، بينما الصبية الصغار يقذفونه بالطوب والزلط، وما تلتقطه أيديهم من علب الصفيح الفارغة...

كنت أرقبه وهو في حالة هياجه تلك، أين الوجه الملائكي؟! ما هذا الجحوظ الغريب؟!.. "بقالي يومين ما نمتش، بيحطوا لي حاجات في الشاي يا محمد.. بيعجنوا لي دم الحيض في أكباد الجاموس ويلقموني به وقت جوعي.. دلني على واحد يفك طلسم الماء المرشوش قدام أوضتي على السطوح"...

أصابتني القشعريرة والخوف وأنا أصعد معه درجات السلم المتربة المعتمة، يرفس باب الحجرة بقدمه اليسرى.. صرير الباب كانت تصاحبه موسيقى الارتداد المتتالية.. يااه.. مش هيه دي صورتك أيام الجندية؟!.. لم يجب.. غاص في بحر من أوهام غريبة!!.. سأعد لك كوبًا من الشاي.. أنت طيب وغلبان، سمعته يتحدث مع شخوص لا وجود لهم بالمطبخ الذي هو عبارة عن رف وموقد غاز.. وضع الشاي في برطمانين غاية في القذارة، كانت لوحة نظيفة تمامًا قد خطها بخطه الأنيق "الله جل جلاله".. وصليب بني قاتم.. وصورة العذراء الطاهرة مرسومة بدقة وعناية "أنا راجل بتاع ربنا.. وعارف إني مسكين.. ناولت جيب سيالتي وخلعت جلبابي المهترئ للأيتام، وعملت فقير الأبوين، برغم وجودهما على قيد الحياة.. وجعلت الرجل الحق يصل إلى غرضه من زوجتي".

- لكنك غير متزوج يا جمال يا شامي.

- أنا راجل متجوز البركة والحنان.. تعاركت معها في دورة المياه حتى خارت قواها فتضرعت لي واعترفت بحبها لي فتزوجتها.. دخل "مدبولي" يستحم.. رآها.. فتزوجته.. واحد من اللي بعينه نسوان الحارة بتوع السحر والربط وأعمال الشعوذة...

كتمت ضحكتي بالكاد حتى لا يزعل مني "جمال الشامي"

الذي اختفى بعد نوبة زعيق في لحظة الفجر والناس نيام، إلا أنهم مازالوا يرددون بالحارة أن صوته يعلو.. يعلو مناديًا على نسوان الحارة بالاسم مرة وبالنعت أخرى.. حتى صارت حارة "الظاهر بيبرس" حارة سد، على كل من يريد أن يحفظ ما تبقى له من عقل أن يرحل منها.. ولم أره.. لم أسمع حتى صوت زعيقه...

ترى.. أين ذهب "جمال الشامي"؟؟!

أين ذهب جندي الحارة المجهول؟؟!

obeikandl.com

obeikandl.com

الأب

(١)

البحث عنه مازال مستمرًا . .

نعم . .

البيت العتيق الجاثم هناك على ضفة نهر "الوراق" . . ذلك البيت الذي جرى في فنائه أخوتي وصعدوا معه دورًا دورًا، خمسة أدوار، ومات الأب فوق السطوح . . وبدأ السقوط ووجدت الأخوة يمسكون بي من ذراعي ويكدسون الأثاث البالي القديم على عربة نصف نقل، بينما أمي تتشح بالسواد ومنديل باهت وقذر تتمخط فيه وتبكي، ومن يومها وأنا أسمع أشياء عديدة عن البيت، وأشياء كثيرة عن "أبي" أبي . . يقولون إنه طويل، أسمر، نحيف، حليمي الوجه صارم الملامح، نبتت في عينيه الطيبة، سألت أمي أن تحكي لي عنه، وتسولت صورته من ذكريات أخواتي وكنت أقضي الليالي الطويلة محاولاً رسم جبهته أو عينيه الطيبة فلا أستطيع .

صار البيت شيئًا مخيفًا، ماضيًا، تاريخًا يتحدث عنه أخواتي بمنتهى الفخر والعزة . . ولكني . . لا أعرفه . . يقولون إن البيت رائحة خاصة به، رائحة لن تعوضهم عنها مصر الجديدة والشوارع الممهدة، ولا السيارات الفارهة "أنا لا أريد البيت . . أنا أريد أن أعرف أبي" .

مازلت أذكر . . ناظر المدرسة في "بدلته الترجال اللبني"

- أصل . . أصل . .
- ولا أصل ولا صورة . . أبوك . . نريد أباك
- أيوه ميت . .

كان الناظر شاهقًا ومرتفعًا مثل ناطحات السحاب وكنت مجرد دمية إلى جوار حذائه . . لقد قالها أحد التلاميذ . . "أبوه ميت" ، وحين التفتُّ إلى صاحب الصوت "كان أبوه إلى جواره يدخن" .

ترى هل كان أبي يدخن كذلك؟!!

(٢)

عاد أخي الأكبر من الخليج . . كانت الحقائب المنتفخة ترفعها زوجته وتدخلها إلى حجرتها . . في الليل . . أعطاني ثوبًا رياضيًا . . وكاوتش . . كنت أراه في إعلانات التليفزيون، وكل واحد من أخوتي "دخن معه السجائر الأمريكية" .

كنت لأول مرة أرى تليفزيونًا ملونًا . . ثم عرج الحديث مرة أخرى . . إلى البيت . . البيت الجاثم هناك على ضفة نهر "الوراق" لماذا؟ لا يتحدثون عن أبي؟!

أبي . . الوحيدة التي تتذكره أمي؟؟ إلا أنها هي أيضًا تكثر من الحديث عن البيت وحتمية "فك الرهن" ولا تتحدث عن أبي إلا: الله يرحمه كان رجلاً ولا كل الرجال، حتى جاء ذلك اليوم الذي ذهبنا فيه إلى الوراق "لنفك رهن البيت" . . صعدوا جميعًا إلى السطوح، بينما كنت أتحسس درجات السلم . . لعلها تخبرني عن أبي . . ولم تكن هناك في البيت أيه رائحة مما قالوا عنها . . ربما . . لأن أنفاس أبي غادرته نهائيًا ولم يتعرف علينا أحد من الجيران، لقد تغيرت الثوابت، كل واحد صار في حالة . . لا أحد يعرف أو يريد أن يعرف عن الآخر شيئًا .

كانت هناك طفلة تلهو . . على شاطئ النهر . . كانت دامعة العين . . ترمقني في خوف . . اقتربت منها . . كانت مثل فراشة تلهو إلى جوار المياه العذبة الرقراقة . . اقتربت منها . . .

- لِمَ تبكين؟
- أصل . . أصل أبويا . . مااات .

قالتها وهي تهرول . . نحو امرأة تتابع أيادي الشيالين وهي تكدس أثاثًا باليًا وقديمًا في سيارة نصف نقل . . لا أدري لماذا بكيت . . ونزلت على ركبتي . . لأمسح وجهي بغرفة من ماء النهر . . عندما اقترب الماء . . من أنفي . . شممت رائحة . . رائحة منحتني القوة والعنفوان . . ربما كانت رائحة أبي . . أبي . . وبكيت . . .

obeikandl.com

قط الشوارع

أخاف أن تأتي الأمطار.. في شتاء لا أمتلكه وكذلك أن يجف البحر قبل ادخاري مصاريف الذهاب للغردقة.

١) "معاوية ضد معاوية": قررت عدم الذهاب لاحتفالية صاخبة عنوانها "تأبيني" فقط؛ لأنه قبل الموعد بساعات قد صدمتني سيارة نقل عام.

٢) "خيانة": كل الورود اختبأت عند دخولي الحديقة بصحبتها وكأن الورود ترفض القطاف لأنني قد بدلت "فتاتي" بأخرى، يعلم الجميع بدون استثناء موعد زفافنا القريب.

٣) "القطار الغامض": أنا "معاوية" عندما صبغت شعري مثل لاعبي كرة القدم، لم يحترق القطار العائد بي للقرية النائية بأقاصي الصعيد، ربما اعتقدوا كوني سائحًا!

٤) "تشابه": البضائع الصينية فوق الأرصفة، عندما سألت البائع عن سر التشابه الغريب في ملامحهم، أجابني.. كلكم أيضًا لكم اسم واحد، وهو "محمد" أجبته على الفور.. هذا غير صحيح، فأنا اسمي "معاوية".. ضحك وقال وهو يشير إلى سيارة على الأسفلت.. بل أقصد هذه.. ورأيت "سيارة مرسيدس".

obeikandl.com

ذابت معاني الأغنية، حروفها تآكلت تمامًا.. حتى اللحن تلاشى هو الآخر.. حتى رأيتها تلك "الكمنجة" التي ترتدي المريول المدرسي، تسير فوق الرصيف.. لا لا.. ليست بمحاذاته بل فوقه تمد قدمًا إلى حجر أسود.. ثم القدم الأخرى نحو الحجر الأبيض.. كنت على الرصيف المقابل.. تغيب عني عندما تمرق سيارة، وغابت تمامًا عندما وقفت حافلة أمامي ثم وقفت نتيجة زحام المرور.. اختفت.. وعادت معاني الأغنية وبدأت الحروف المتآكلة ترمم نفسها.. وأهازيج الموسيقى تعاود.. كان اللحن القديم يتسلل إلى داخلي "صدقني يا خلي.. الفرح كان خلي.. بينام تحت رمشي.. وفي حلمي مصاحبني.. دلوقت وحشة الأيام".. ثم ضاعت الأغنية تمامًا.. لقد رأيتها.. رأيتها ولكن هل رأتني.. كيف؟ وأنا مجرد.. شبح؟!

لم يكن في مقدوري أن أحتمل شبحيتي هذه.. فأنا والحب أصدقاء قدامى.. غدر أحدنا بالآخر.. إلا أننا اتفقنا في النهاية على شيء واحد.. ذلك الشيء الواحد مثله مثل شرف الإنسان.. وكان العقد عقد انتحار!

الملل وحده هو الذي جعلني أبتاع المسدس اللعبة الصيني من البائع بالحافلة العامة.. مسدس من البلاستيك الأسود فوهته برتقالية اللون ومعه ذخيرة شريط مستطيلي ومملوء (بكباسيل)

الطلق التي تصنع فرقعة "تيك بووم" ثم دخان كأن المسدس البلاستيكي يدخن!

وجهت المسدس إلى جانب رأسي وضغطت الزناد.. شعرت بالكبسولة تخترق رأسي.. شعرت بدوار خفيف.. وأصابني النعاس.. ونمت.. إلا أنني اكتشفت أنني مت!

عندما أصابتني الإفاقة وجدتني ممدًا.. وقفت إلى جواري.. وجدت وجهي أمامي بدون مرآة.. بدون أي انعكاس للضوء على جسم مصقول.. ميت! كيف وأنا إلى جواره رأيت أمي وهي تنقلني إلى المستشفى.. تلطم العجوز الشاحب.. بل وساعدتهم في نقلي.. كنت ثقيلاً جدًا.. جدًا.. وأنا شفاف.. وضعيف إلى حد ما...

لا أدري.. لِمَ كانت أمي تبكي.. ذهبت معهم إلى المستشفى وكانت الحيرة تأكلني.. لما تذهب أمي معهم.. وتتركني وحدي في البيت أنا هنا يا أمي.. يا أمي أنا هنا.. سيجارتي وأنا ألقيها في الحوض المملوء بالماء على أثر انسداده وهي لا تدري.. أصابتني الغيرة من ذلك الذي يهتمون به...

"ده صغار.. كل أخوته لهم ذرية إلا هو.. كنت عاوزة أفرح به" ألاعب صغاره!

تغيب أمي في المستشفى تتابع حالة ذلك الذي لا أطيقه وأغار منه حتى غافلتهم وخنقته.. ربما بموته تهتم أمي؟!

وقتلته.. لن يعاقبني أحد.. فهو الذي أنا، وأنا أمامهم أصرخ فيهم ولا يشعر بي أحد.. ولكن أمي ظلت تصرخ.. وأخواتي وضعوا الملاءة على وجهي.. أو على ذلك الوجه الشاحب الذي أخذ شخصيتي بلعبة تافهة.. مسدس بلاستيكي.. يقذف دخانًا!

وذابت معاني الأغنية، حروفها تآكلت تمامًا.. حتى اللحن تلاشى هو الآخر.. حتى رأيتها تلك "الكمنجة" التي ترتدي المريول المدرسي، تسير فوق الرصيف.. لا لا.. ليست بمحاذاته بل فوقه تمد قدمًا إلى حجر أسود.. ثم القدم الأخرى نحو الحجر الأبيض.. وتعرف خطواتها للطريق الممتد مثل أصابع البيانو.. ولكن مصحوبًا بالضجيج وعوادم السيارات والحر والناس والزهق.. وأنا بردان.. بردان جدًا جدًا...

اكتشفت أنّ عليّ التأقلم مع ما يحدث! هرولت عابرًا الطريق.. صدمتني سيارة مسرعة.. مرقت فوقي.. لم أشعر بشيء.. دهستني تمامًا.. نفضت الغبار عني وهرولت.. ظللت أهرول بدون خوف وبدون قلق.. وقفت أمامها وهي تمرق الرصيف في عزفها الدائم.. اخترقتني كأنني هواء.. دمعت عيوني.. إلى هذا الحد أنا غير موجود.. في الصباح التالي سرت إلى جوارها.. دلفت من بوابة المدرسة.. دخلت معها.. وقفت إلى جوارها في طابور الصباح.. ومارست تمارين الصباح

"ثني مد"، الركض في المكان.. هل كبرت على ذلك؟؟ ارتكنت مترنحًا إلى السور الأصفر الموشي برسوم الألعاب الرياضية، وأشعلت سيجارة.. صعدت الطوابير على موسيقى فاترة تجلب النعاس، بدأ الصعود إلى الفصول.. وصعدت معها.. حاولت أن أجذبها من قميصها الأبيض، استدارت غاضبة نحو زميلتها.. عاتبتها ثم واصلت سيرها صاعدة إلى الفصل!

انتهى اليوم الدراسي، وجدتها تخرج تسير سيرتها المعتادة، عازفة على أحجار الرصيف، أصابني وجع رهيب رهيب عندما رأيتها تقدم له وردة.. جلست إلى جوارها فوق الرصيف.. غير ممكن.. ما الذي يعجبها في ذلك المراهق أخرجت المسدس.. وأطلقت كبسولة نحوه.. ربما يعاني مما أعانيه أنا، لم يحدث له شيء...

لم يحدث له شيء على الإطلاق، لأنها.. لأنها هي التي أصابتها الكبسولة، وراحت في نعاس عميق لتصير شبحية مثلي تمامًا.. إلا أنها أيضًا.. لم ترني. لم ترني.. لم ترني.. فأدركت.. أنني مت.. منذ زمن بعيد.

منذ أن صاحبني سيدي الحزن الجليل...

المُحتَوَيات

obeikandl.com

obeikandl.com

المحتويات

إهداء ٣

هيء هيء . . ها ها ٧

من أوراق الورّاق ١٣

آخر يوم في حياة فان جوخ ١٩

المحروم من الورد ٢٣

هذا ما حدث . . والله خطفوني ٢٧

قليلة البخت ٢٩

آخر ساعة ٣٣

جبروت الصعلوك ٣٧

تبادل المواقع ٤١

من أغراض العشق ٤٣

التكرار لا يفيد الشطار ٤٥

الضاحك بالأبيض والأسود ٤٩

على سبيل الخطأ ٥٣

إنها أمي ٥٥

أسرار موت الجيوشي ٥٩

عبد الله المسكين له . . ولأحبائه ٦٣

الأب ٦٧

opeikandi.com

قط الشوارع ٧١
سيدي الجليل . . الحزن ٧٣
المحتويات ٧٧

obeikandl.com